تحقيق

يروي الفيلم اللبناني «السلاح في أياد ناعمة» قصة مقاتلات شاركن في الحرب الأهلية. لسن من الماضي، فاليوم أيضاً، في خبايا المدينة، ثمة شابات يجاهرن برغبتهن بإطلاق النار، وأخريات حققنها

السلاح «زينة» النساء... أيضًا؟

جنين سليمان

صحيح أن الحرب الأهلية انتهت ـ بشكلها المعلن على الأقل ـ منذ أكثر من عقدين، غير أن خبر «إطلاق النار» لا يزال مألوفاً بين اللبنانيين، والشباب خصوصاً. فالشباب هم الذين يطلقون النار بعد الأعراس، وهم الذين يهللون لزعيم هنا، ويبتهجون لزعيم هناك، محرّرين بذلك السلاح من علّة وجوده. المظاهر المسلحة، إذاً، لم تعد عنيفة أو مخيفة، كما يُفترض أن تكون. تجرّدت من ذكورية مفترضة لطالما احتكرتها.

وهكذا ربما، انتقلت عدوى اللهو بالسلاح إلى الجنس اللطيف. جزء كبير منهن مقتنع بما يقتنع به الشبان، أي الحجج التقليدية: السلاح مصدر قوة. أن تكون مسلحاً يعني أن يخشاك الآخرون. السلاح ضرورة لأن الحرب يمكن أن تندلع في أي لحظة. هنّ أيضاً، لا يخفين شغفهنّ بهذه القطع المعدنية... القاتلة. رغبة بالقتل، أو باقتناء السلاح خوفاً من مجهول ما، بل لأسباب أخرى، قد تكون طريفة في بعض الأحيان.

ماريانا تحب آلات الموت بكل بساطة. السلاح يشعرها بالسلطة، كأنه مصدر طاقة خفية. ورغم أن طالبة الدكتوراه في التاريخ، لم تطلق النار في حياتها، إلا أنها تصر على تلك الأحاسيس. تؤمن بأهمية الرصاص وقدرته على إخافة الآخرين. في حالتها، يصبح السلاح بحثاً عن طابع تغلب عليه الذكورية، في مجتمع ينتقص المرأة في كل شيء. فهي، وفي معرض شرحها، لا يفتها أن تذكر: السلاح للنساء أيضاً. لا توافقها ميساء الرأي. فالأخيرة، وإن كانت قد جرّبت ما اعتبرته متعة في إحدى رحلات الصيد، تؤكد أن

ذاكرة المقاتلات

يحاول المخرج بلال خريس، في فيلمه «السلاح في أيد ناعمة» الذي عرض على قناة الجزيرة منذ فترة وجيزة الإضاءة على تجربة مقاتلات لبنانيات، انخرطن في العمل العسكري في شبابهن، وانتمين إلى الأحزاب: الكتائب، القوات، الشيوعي، السوري القومي، وحتى حزب الله. معظمهن أصبحن اليوم أمهات، ولا يزال السلاح خلف ظهورهن. لا يشبهن شابات اليوم اللواتي يعتبر معظمهن أن السلاح «موضة».

ذكرى

العمل بصمت: درب الشهادة

منهال الأمين

كأنه أمامي. نتزاحم في ذلك الدكان، على أشباه المقاعد. في ليلة شتوية، جاد بها آذار، فهو، كما يسمونه في القرى، غدارٌ. مازح مهند* الجميع كعادته. طالت السهرة حتى منتصف الليل. لم يودعنا وداعًا مميزًا، مع علمه بأنه، مع خيوط الفجر الأولى، سيكون قد اتخذ موقعًا قتاليًا، في المكان المحدد له في مجموعة الإسناد، يحمل مدفعًا مباشرًا، من طراز B10 ، ويسدد: فرضة ـ شعيرة ـ هدف، منتظرًا ساعة الصفر للبدء بالهجوم على موقع طلوسة اللحدي. لم تكن مرّته الأولى، ولكنها كانت الأخيرة. يومها علمنا أنه كان يذهب من بيننا، إلى معركة مع العدو أو عملائه، من دون أي إشارة أو تلميح. شهادته كشفت لنا سره.

لا طقوس لهذا العمل. بل «استراتيجيا» العمل بصمت، والعمل كثيرًا من دون ثرثرة ولا تنظير. لم يحتج مهند إلى كثير بحث. قرر أن يصبح مقاومًا. كيف؟ قد يملك البعض جوابًا عن المراحل الفكرية والنفسية والعملية التي مر بها، مثله مثل مئات من شباب عشرينيين التحقوا بالمقاومة، في أيام عزها، أوائل التسعينيات، في الفترة التي شهدت تطورًا في العمل المقاوم، أدى إلى التحرير في عام 2000.

سبق مهند إلى هذا العمل، ابن خالته شادي الزين. حين استشهد قال لرفاقه: لن يسبقني إليه أحد. ثم اشترى سيارته كأنه يحاول تلمّس الطريق التي خطها، وبالفعل، لم تمر أشهر معدودة، إلا وكان مهند في إثر شادي. مهند، إلى أين؟ لم يحر جوابًا، وإن لم يتكلم. «إلى النوم»، كأني سمعته يقول.

> شهادته كشفت لنا سره الذي حفظته «استراتيجيا» العمل بصمت

كأنه تمتم أيضًا: «أتمنى ألا أراكم غدًا، رايح عالجنة. الجنة لو كانت تقتصر على تلك الحفرة في التراب، فإنها أهنأ من هذا الفضاء الرحب المترع بكل هذا القرف».

* مهند علي فوعاني، من بلدة شقرا الجنوبية، استشهد خلال هجوم على موقع طلوسة اللحدي يوم الأحد 27 آذار 1994، وهو الموقع الذي أخلاه العملاء بعد أسابيع قليلة، جراء الهجمات المركزة للمقاومة عليه، وشارك مهند في أغلبها.

كلبشة

مسلسل مطاردات «صبيانية»

عفيف دياب

يدور المشهد الأول في شارع الحمرا ببيروت. مراهق أغراه «معلمه» بأقل من عشرة دولارات ثمن التقاط صورة لك، لكن محاولته الأولى باءت بالفشل في البقاع. تشعر بتعاطف مع هذا الشاب الفقير. لقد تعب من مطاردتك من البقاع إلى بيروت. تحسن من «قعدتك» على الكرسي في مقهى «الكوستا»، تغمز المراهق المسكين بعدما فشل في التقاط الصورة المطلوبة في محاولته الثانية. تبتسم له بعد أن ينجح في التقاطها على هاتفه المحمول لأن «معلمه» النائب، وبعض مساعديه من «رجال» الاستخبارات السورية سابقاً، واليوم، لا يطيقون كتاباتك التي تفضح بعض ألاعيبهم «الصبيانية». يلتقط البقاعي «المراهق» صورتك وأنت تبتسم له. تتواطأ معه بعد أن ترمقه بنظرة تضامن وتخاطبه: «أسرع. خذ صورتك واذهب إلى معلمك. اذهب الآن لقد وفرت عليك عناء المطاردة، فقد تعبت عنك!». يضحك الشاب ويركض نحو معلمه الذي ينتظره بفارغ الصبر. مسكين لقد حقق نصراً مبيناً بعدما قبض الدولارات العشرة في «سيتي كافيه».

في مشهد ثان: لم تعجب كتاباتك بعض أصحاب النجوم. نجوم يتقاضى أصحابها بدلاً مالياً منها من جيبك ومن جيوب فقراء البلاد، وبالطلب من بعض مخبريهم رمي قنابل صوتية على متظاهرين، وبالتنكيل بفقراء لا يملكون ثمن ربطة من الخبز. يلزمك أصحاب النجوم بارتشاف فنجان قهوة. قهوة تنتظرك في صالون انتظار ريثما يحضر حافظ الأمن والأسرار. يحتسب نفسه «الله» الذي أرسل رسولاً يبلغك رسالة لا جنات فيها ولا أنهار من الخمر. تصبح عدواً غاشماً إذا تضامنت مع عجوز أو سيدة أتعبها الزمن تحت سقف بيت من تراب، أو مواطن حاقد، أنت ومجموعة من أصحاب «عقائد قديمة ـ بالية»، على ثيابه المرقطة. ربما نسي صاحب النجوم أنه شعور متبادل.

وفي مشهد ثالث، يحاصر عسكر صاحب نجوم أصغر المقهى البقاعي. يدخل وهو يراقص سيجاره الكوبي بعد أن ينزع نظارته الشمسية الداكنة كسواد الليل. يتسلل إلى زاوية نائية في المقهى. يعانق صبيّة أنيقة وجميلة، تسمع رنين ضحكتها. يمضي «القائد» أقل من ساعة غزل ويغادر في مهمة وطنية كبرى.

> خذ صورتك واركض نحو معلمك. تعبت عنك!

أما المشهد الثالث «المكرّر»، فيضج بسيارات «الهامر» يركنها العسكر. يفرضون طوقاً أمنياً حول مقهى زحلاوي. ينزل «القائد» ويصعد الدرج مهرولاً. في الداخل من ينتظر. إنها مهمة صعبة وحساسة جداً. يلتقي بعض «الجميلات» ويخاطب زميلاً حضر صدفة: «قل لزميلك (...) إنني سأحطم رأسه حين ألتقي به». تصل الرسالة أسرع من البرق.

يحين موعد الغداء في المشهد الرابع. يجلس «القائد» مع مجموعة من الصبايا في وسط قاعة المطعم الزحلاوي. يحاصر عسكره المكان. ممنوع إزعاج «معلمهم» في جلسة المرح مع الصبايا بثيابه المرقطة. إنهن جميلات وأنيقات، ولا أزمة كبرى عندهن في مغازلة قاض غادر قصره للقاء الأحبة و«القائد» أولهم.